



جامعة الجبلاي بونعامة خميس مليانة

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

المستوى: السنة الأولى جذع مشترك علوم إنسانية

السداسي: الأول

مقياس: ابستمولوجيا العلوم الإنسانية

المحاضرة الأولى: ماهية العلوم الإنسانية إعداد الأستاذة: جلاب فتيحة

1. مفهوم العلوم الإنسانية

إن البحث عن مفهوم دقيق وموحد للعلوم الإنسانية غير ممكن نظرا لطابعها الإشكالي وتعدد موضوعها، وتعدد مجالات البحث فيها لارتباطها بالإنسان ككائن متعدد الأبعاد، تتاولته العديد من الدراسات من زوايا معرفية مختلفة بالنظر للتوجهات والإيديولوجيات، إذ نجد في موسوعة لالاند أن العلوم الإنسانية Sciences humaines هي "مفهوم حديث لكنه يعم أكثر ليديل على ما كان متفقا من قبل على تسميته العلوم الأخلاقية يزداد تشديد هذا التعبير على السمات الممكن رصدها خارجيا، لطريقة تصرف البشر وسلوكهم فرديا أو جماعيا".

ومن ناحية أخرى يمكننا أن نوضح أن العلوم الإنسانية ليست كل العلوم المختصة بالإنسان، فمثلا: لا تسمى بهذا الاسم علوم التشريح أو الفيزيولوجيا البشرية، فالعلوم الإنسانية هي تلك العلوم التي تميز الإنسان في مقابل بقية الطبيعة، فهي بذلك جملة المعارف والعلوم

التي تدرس الكائن الإنساني من خلال سلوكياته الفردية والاجتماعية، من حيث هي علوم تتخذ من الماهيات والسلوكيات الإنسانية موضوعا لدراستها.

ومن هذا المنطلق يمكننا القول أن العلوم البيولوجية، وإن كانت تتناول جزءا من الإنسان، إلا أنه لا يمكن أن ندرجها ضمن العلوم الإنسانية، لأنها تختص بما هو مادي فيزيولوجي من حيث دراستها للكائنات الحية التي تتماثل في أداء الوظائف الحيوية، فإن طبيعة العلوم الإنسانية لها خصوصية من حيث أنها تلك العلوم التي تدرك العالم على أنه ينطوي على معان وتتلون معرفتها بتلك المعاني، وهذا أن العلوم الإنسانية تحاول النفاذ إلى الأفكار والمشاعر والمعاني والمقاصد التي تقف وراء الوقائع أو التغييرات المختلفة التي تمس السلوك الإنساني وتحاول إدراكها إدراكا كيفيا.

ونظرا لكثرة فروع العلوم الإنسانية فهذا بدوره يطرح خلافا حول تسميتها من طرف العديد من المفكرين، وذلك لتعقيدها كونها تناولها الإنسان كظاهرة متداخلة الجوانب، فمنهم من يعتبرها علوم فهم لا علوم تفسير للتفريق بينها وبين العلوم الطبيعية، وأطلق عليها مصطلح العلوم المعنوية كما هو الحال في التقليد الفرنسي حيث يقصد بالمعنوي ما هو عقلي أو نفسي أو روحي، في مقابل ما هو مادي وهو الذي تتعلق به العلوم الطبيعية، غير أن التسمية السائدة في فرنسا هي العلوم الإنسانية.

أما في التقليد الأنجلوساكسوني فهي "تدل على الآداب والفنون والمسائل المعيارية القيمة واتجاهات لتفسير النصوص... الخ، وكلها مسائل مفارقة للعلم ولا ينبغي أن تخلط به.

ظهرت بعض الدراسات من هنا وهناك تدعو للفرقة بين العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، بداعي أن العلوم الاجتماعية تدل فقط على ما ينتمي لعلم الاجتماع بالذات، وهذا التمييز لم يكن مطروحا في بداية التعامل مع العلوم الإنسانية وتدريسها إلا في النصف الثاني من القرن العشرين بالذات عام 1962، حيث حاولت بعض المنظمات العالمية كالبيونسكو

إقامة دراسات للبحث في الفروق الإبستمولوجية بين المعرفة الإنسانية والمعرفة الاجتماعية، وكانت النتيجة لا فرق بينهما لطرقهما نفس المجالات والموضوعات والمناهج والقوانين والغايات، ومهما يكن من أمر تعدد التسميات التي تشيد بوجهة نظر خاصة لطبيعة البحث في تلك العلوم، إلا أنها جميعا لا تعني نفورا من مصطلح العلوم الإنسانية الذي يشفع له استخدامه لدى المنظمات الدولية، وخاصة اليونسكو الذي تستخدمه عنوانا للعديد من أنشطتها، وعليه يبقى الخلاف حول تسميتها عند البعض من منطلق إيديولوجي، كما كان الحال في الولايات المتحدة الأمريكية، إذ أن استعمال مصطلح اجتماعي أو اجتماعية كانت مرفوضة بالكامل نظرا لإشارتها إلى كل ما هو شيوعي واشتراكي، لذلك استعملوا مصطلح العلوم السلوكية، نتيجة لغلبة الاتجاهات الوضعية والتجريبية في التقليد الأمريكي بوجه خاص، حيث يكون ذلك المصطلح امتدادا وتوسعا للمدرسة السلوكية في علم النفس، والذي يستوعب كل العلوم الإنسانية والاجتماعية على المستوى الفردي والجمعي على السواء، وفي الوقت الراهن يمكن القول أن العلوم الإنسانية تجاوزت الخلافات القائمة حول التسمية.

وتبقى العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية تتقاطع وتتشابك وتتكامل مع بعضها البعض، لأن جميعها تدرس الإنسان وسلوكاته فهي تسلط الضوء على أوجه النشاط المختلفة والمتعددة، فالإنسان فرد له جسد وروح، وهو عضو في جماعة، عضو في أسرة، وله حقوق وعليه واجبات، فهو متعدد الجوانب، وهذا ما أثرى الحقل المعرفي للعلوم الإنسانية بتخصصات انبثقت عن علومها الأساسية كعلم الاجتماع وعلم النفس وعلم التاريخ وعلم الآثار وعلم المكتبات... الخ.

ومنه يبدو أن العلوم الإنسانية تتميز عن بقية العلوم الأخرى بالتنوع والتعدد، إذ نجد داخل التخصص الواحد فروعاً جديدة، كما أنه توجد العديد من التقاطعات بين العلوم النظرية الأساسية وهي التي تسمى بالعلوم البينية، والتي تشكلت ضمن مساحة التقاطع بين علم إنساني وعلم إنساني آخر، وعلى سبيل المثال إذا حاولنا إقامة علاقة بين علم النفس وعلم الاجتماع،

فإن حاصل التقاطع بينهما ينتج عنه علم جديد وهو علم النفس الاجتماعي، الذي يهتم بدراسة سلوك الفرد من حيث هو متأثر في مظاهر هذا السلوك بالجماعة التي يعيش فيها، وهو التأثير الذي يكون مباشراً أو غير مباشر حسب شروط حدوثه، وتبقى تقاطعات العلوم الإنسانية عديدة لا يتسع المقام لذكرها.

إذن العلوم الإنسانية هي مجموعة علوم وليست علماً واحداً.

الإنسان هو محور الدراسة في العلوم الإنسانية.

ومقاصد العلوم الإنسانية لا تخرج عن ثلاث:

فهم الظواهر الإنسانية- ضبطها (بمعرفة القوانين التي تحكمها)- التنبؤ بحدوثها.

2. نشأة العلوم الإنسانية:

إن الحديث عن نشأة العلوم الإنسانية يقودنا حتماً إلى الحضارات القديمة وبشكل دقيق إلى الحضارة اليونانية التي عرفت ظهور العديد من المفكرين الذين كان لهم اهتمام واسع بالظواهر الإنسانية وبالإنسان ومحيطه ومن بين هؤلاء نجد أفلاطون صاحب كتاب الجمهورية الذي تطرق فيه إلى الحياة السياسية باعتبار أن الإنسان كائن اجتماعي لا يمكن له أن يعيش في معزل عن المجتمع وأن هذا الاجتماع لا بد أن يخضع للتنظيم، فدراسة أفلاطون للحياة السياسية والتنظير لها يعد من بين المواضيع التي تهتم العلوم الإنسانية بمعالجتها، أما أرسطو فقد اهتم هو الآخر بالإنسان وبعلاقته مع المحيط الذي يعيش فيه من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، حيث أحصى في كتابه القوانين كافة الأنظمة التي يمكن أن ينتظم في ظلها المجتمع، غير أن هذه الجهود لا تعد إلا البوادر الأولى لظهور العلوم الإنسانية، كما أنها لا ترقى إلى مستوى العلوم الإنسانية لأنها ليست دراسة وضعية بل هي عبارة عن استقراء للواقع فحسب من منظور فلسفي، لأن الفلسفة في ذلك العهد كانت هي أم العلوم وبالتالي كانت كل العلوم متصلة بالفلسفة ولم تستقل

عنها إلا مع عصر النهضة وبداية العصر الحديث، حيث انفصلت العديد من العلوم عن الفلسفة كالعلوم الطبيعية والفيزياء.

إن التأسيس العلمي للعلوم الإنسانية لم يكن أيضا في العصر الوسيط الإسلامي وإن تجلت بعض مظاهره لدى بعض المفكرين مثل الفارابي في السياسة من خلال تنظيره للمدينة الفاضلة مقتفيا بذلك أثر أفلاطون في دعوته إلى الدولة المثالية في كتابه الجمهورية، وكذلك ابن سينا الذي كان له اهتمام بالنفس من خلال اكتشافه لكثير من المناهج النفسية في معالجة العديد من الأمراض النفسية والعصبية والتي سبق من خلالها بعض المناهج الحديثة في علم النفس. وبشكل واضح في فكر ابن خلدون الذي دعا إلى دراسة التجمع البشري دراسة علمية تستند إلى منهج محكم تكون نتائجه يقينية، وهذا ما استند عليه في تأسيسه لعلم العمران البشري.

أما بالنسبة للفترة الوسيطة المسيحية التي كانت فيها هيمنة الكنيسة كمؤسسة دينية ذات رقابة على النماذج المعرفية والثقافية لم يكن من الممكن أن يهيأ الوسط لنشأة دراسة وضعية للظواهر الإنسانية، حيث كان البحث في الإنسان كما في سائر الموضوعات الأخرى وسيلة لإثبات حقيقة تسمو على النتائج المتوصل إليها منه، ولم يكن غاية في ذاته، وهذا أمر مضاد للعلوم الإنسانية التي تسير منذ نشأتها باتجاه دراسة الظواهر الإنسانية من حيث هي متعلقة بإنسان واقعي، هو الإنسان الذي يصدر عن رغبة، والإنسان الذي يصنع التاريخ.

إلا أنه ومع عصر النهضة الذي كان بمثابة عصر التحرر من الطابع اللاهوتي الذي سيطر على الفكر الإنساني، حدث تحول في المسار التطوري لمختلف العلوم، ولعل أبرز نقطة تحول في تلك اللحظة، هي تلك التي تبنى فيها ديكارت منهج الشك، أين فتح الباب أمام إمكانية إعادة بناء مفاهيم العلم والفلسفة، وذلك بنقد التصورات القديمة وبناء تصورات جديدة عن الكون، كفكرة دوران الأرض وكرويتها في مقابل النسق الإقليدي الذي

يسلم بأن المكان مستوى مسطح، وهذا ما تبلور من خلال أعمال غاليلي وكوبرنيك ونيوتن، وإن هذا التطور في مجال العلوم الطبيعية لم يكن ليحصل لولا إتباع منهج علمي في الدراسة هو المنهج التجريبي الذي أسسه فرانسيس بيكون.

ونظرا لتحقيق المنهج التجريبي لنتائج مذهلة في حقل العلوم الطبيعية، فقد ظهرت دعوات من هنا وهناك من قبل فلاسفة العلم، داعين بها إلى محاولة توسيع نطاق تطبيق المنهج التجريبي على دراسة الظواهر الإنسانية، ولعل من أبرزهم جون ستيوارت مل الذي كان صديقا لأوغست كونت من خلال دعوته إلى مضاعفة الجهد لتأسيس علوم اجتماعية أو إنسانية تماما كالعلوم الطبيعية.

وعلى اثر هذه الدعوة حاول أوغست كونت بناء مشروع علمي خاص بدراسة الظواهر الاجتماعية وبذلك أراد أن يصطنع المنهج العلمي في الفلسفة وحاول تطبيق مناهج العلوم الطبيعية في دراسة الظواهر الاجتماعية، وأدى ذلك إلى اكتشاف علم الاجتماع، وفي هذا الصدد أكد "كونت" من خلال تصنيفه للعلوم أن علم الاجتماع لم يكن ليتأسس لولا حركة التطور الحاصلة في تاريخ العلوم التي قطعت شوطا لتصل إلى المرحلة الوضعية بداية من الرياضيات، الفلك، الفيزياء، والكيمياء، والبيولوجيا، وصولا إلى علم الاجتماع، حيث وجدت العلوم الإنسانية موحدة لدى أوغست كونت في علم واحد هو علم الاجتماع وذلك باعتبار التطابق لديه بين الظاهرة المجتمعية والظاهرة الإنسانية.

يمكننا التأكيد على أن القرن التاسع عشر كان مرحلة مفصلية في التأسيس للعلوم الإنسانية باعتبارها فرعا من فروع المنظومة المعرفية العامة بمحاولة تطبيق المنهج العلمي في دراسة ظواهرها، لذا يعتبر أوغست كونت أول من استخدم المنهج التجريبي في علم الاجتماع.